المرصد السياسي 2996

التحكم بالتصعيد في غزة (الجزء الأول): الدروسُ المستفادة من "عملية الجرف الصامد"

بواسطة الرائد نداف بين حور "جيش الدفاع الإسرائيلي" (/ar/experts/alrayd-ndaf-byn-hwr-jysh-aldfa-alasrayyly)

يوليو
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/managing-escalation-gaza-part-1-lessons-operation-protective-edge)

عن المؤلفين

الرائد نداف بين حور "جيش الدفاع الإسرائيلي" (/ar/experts/alrayd-ndaf-byn-hwr-jysh-aldfa-alasrayyly)

نداف بين حور هو زميل عسكري زائر في معهد واشنطن وهو رائد في "جيش الدفاع الإسرائيلي".

تحليل موجز

"هذا المرصد السياسي هو الأول في سلسلة من جزئين حول آخر الأعمال العدائية في قطاع غزة ويركز الجزء الثاني (https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/managing-escalation-in-gaza-part-2-breaking-the-dynamic) على تحليل الوضع الحالي هناك".

شهد التوتر بين حركة «حماس» وإسرائيل تصعيداً كبيراً خلال الأسابيع الأخيرة مترافقاً مع تدهور سريع في الوضع الأمني في غزة وقد بلغت مستويات التوتر حالياً أوجها منذ اختتام "عملية الجرف الصامد" في صيف عام 2014 بعد أن عرفت المنطقة أربع سنوات من الهدوء النسبي وحتى الآن بدا أن الذكريات المريرة التي خلّفتها تلك العملية ردعت «حماس» عن بدء صراع رئيسي آخر مع إسرائيل تماماً كما أدّت ذكريات حرب عام 2006 في لبنان إلى ردع «حزب الله». لكن طبيعة المواجهات الأخيرة ونطاقها أثارت مخاوف من تسبب ديناميات التصعيد بحرب جديدة في غزة تكون الرابعة خلال العقد المنصرم وحده

الطريق نحو "عملية الجرف الصامد"

كانت حرب عام 2014 أكثر خطورةً من المواجهات التي سبقتها بين "جيش الدفاع الإسرائيلي" ["الجيش الإسرائيلي"] و«حماس». ومع ذلك لم يخطط لها أيّ من الطرفين أو يطلق شرارتها بل جاءت نتيجة دينامية فعل ورد فعل عسكري أدت إلى خروج الأمور عن السيطرة

وساهمت عدة عوامل في تعاظم ذلك الردّ منها اختطاف شبان إسرائيليين وقتلهم وإطلاق الصواريخ من قبل نشطاء مارقين من غزة وخوف كل طرف من شنّ الطرف الآخر حرباً أوسع نطاقاً وفي حين ساهمت الأزمة الاقتصادية في قطاع غزة بتغذية تلك التوترات إلّا أنها لم تكن السبب وراء التصعيد وتحمل الدينامية الحالية بعض أوجه التشابه مع تلك التي كانت قائمة عام 2014 على الرغم من وجود العديد من الاختلافات المهمة بينهما بما فيها واقع أن كلا الطرفين قد أخذ في الحسبان الدروس التي استخلصها من جولة الصراع الماضية وأدخلها في حساباته وأفعاله

وتعود جذور النزاع السابق إلى "عملية عمود الدفاع" التي نفّذت في تشرين الثاني/نوفمبر 2012. وانتهت تلك الحرب التي شنتها إسرائيل على غزة بعد ثمانية أيام من انطلاقها حين ساعد الرئيس المصري السابق محمد مرسي حركة «حماس» على إبرام اتفاقية فُتحت بموجبها المعابر الحدودية مع إسرائيل بشكل جزئي وتوسّعت المنطقة التي يسمح فيها لأهالي غزة بصيد الأسماك

وبعد تلك العملية واصلت الحركة تخزين أسلحتها والاستعداد لمواجهة مستقبلية من خلال إنتاج الصواريخ وحفر الأنفاق الهجومية لتسلل قواتها إلى داخل إسرائيل وفي غضون ذلك امتنعت «حماس» عن إطلاق الصواريخ وقيدت التنظيمات الإرهابية الأخرى من اتخاذ خطوات مماثلة

لكن الوضع تغيّر في تموز/يوليو 2013 عندما أطاح الفريق أول عبد الفتاح السيسي بالرئيس مرسي وتبنّى موقفاً عدائياً تجاه الحركة. وقد ساهم موقف حكومة السيسي إلى جانب عوامل أخرى في خلق أزمة سياسية واقتصادية حادة لـ «حماس» لم تتخطاها الحركة بعد.

بعد ذلك حاولت الحركة الاستمرار بسياسة الهدوء التي انتهجتها معتقدةً أن أي مواجهة جديدة ستزيد وضعها سوءاً. حتى أن زعماء التنظيم كانوا يخشون أن تبادر إسرائيل إلى شنّ حربٍ لاستغلال ضعف الحركة. ومن جانبهم خشي العديد من الإسرائيليين من أن «حماس» قد تثير صراعاً للحصول على تنازلات من شأنها تحسين وضعها الاقتصادي. وعلى أي حال لم تحقق محاولة «حماس» إلا نجاحاً جزئياً. إذ قامت العناصر المارقة بإطلاق الصواريخ على إسرائيل من وقتٍ إلى آخر وترأست "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين" حملة تصعيدٍ وجيزة في آذار/مارس 2014.

غير أن السبب الأقرب لـ "عملية الجرف الصامد" كان اختطاف ثلاثة مراهقين إسرائيليين وقتلهم في الضفة الغربية في 12 حزيران/يونيو من ذلك العام على يد خلية محلية تابعة لـ «حماس» كانت تعمل على ما يبدو بمبادرتها الخاصة. فردّت إسرائيل بإطلاق عملية بحث واسعة النطاق قضت من خلالها على خلايا ومؤسسات تابعة لـ «حماس» في الضفة الغربية واعتقلت عناصر من الحركة كانت قد أفرجت عنهم في صفقة تبادل الأسرى مع [الأسير الإسرائيلي لدى «حماس»] جلعاد شاليط عام 2011.

وقد أثارت تلك الأحداث العناصر المارقة في غزة وقامت بإطلاق الصواريخ تضامناً مع الضفة الغربية فجاء الرد الإسرائيلي بضرب مصادر الصواريخ وعدة مواقع تابعة لـ «حماس» في غزة. وحتى مع ذلك حافظت الحركة على سياسة الهدوء وحاولت ضبط المقاتلين الآخرين على الرغم من ازدياد استيائها من ضربات "الجيش الإسرائيلي" وخوفها من هجومٍ أكبر.

وفي 29 حزيران/يونيو وللمرة الأولى منذ "عملية عمود الدفاع" قتل "الجيش الإسرائيلي" أحد عناصر «حماس» كان يُشتبه أنه يستعد لإطلاق الصواريخ. فردّت الحركة على مقتله بإطلاق اثنا عشر صاروخاً قصير المدى وهي المرة الأولى التي يُقْدِم فيها التنظيم على ذلك منذ عام 2012. ومن ثم كثّف "الجيش الإسرائيلي" هجماته لردع مواصلة إطلاق النار بينما قامت «حماس» بإطلاق العشرات من الصواريخ الإضافية لردع إسرائيل.

وفي غضون ذلك اكتشف "الجيش الإسرائيلي" وجود مخططات لشن هجمات عن طريق نفق محتمل تحفره «حماس» ويمتد من جنوب غزة إلى إسرائيل. فاتخذت وحدات "الجيش الإسرائيلي" إجراءات لضرب النفق بين 5 و6 تموز/يوليو. وفي اليوم التالي لقي ستة من عناصر «حماس» مصرعهم حين انهار النفق عليهم. فسارعت الحركة إلى الانتقام بإطلاق نحو 40 صاروخاً ذات مدى أطول يصل إلى 40 كيلومتراً الأمر الذي دفع إسرائيل إلى ضرب عشرات الأهداف التابعة لـ «حماس» والإعلان عن بدء "عملية الجرف الصامد". وفي اليوم التالي أطلقت «حماس» صواريخ على تل أبيب.

وبعد عدة أيام من القتال طرحت الحركة شروطها لوقف إطلاق النار التي ركزت على "رفع الحصار" من خلال اتخاذ عدة تدابير كبناء ميناء بحري ومطار لغزة. ومع ذلك استمر الصراع وبعد خمسين يوماً من الأعمال العدائية - التي شملت حملة برية لتدمير الأنفاق الهجومية - وافقت «حماس» على اتفاقٍ لوقف إطلاق النار بوساطة مصرية دون أن تحقق أيّاً من مطالبها بل اكتفت بالموافقة على تجديد الشروط التي أنهت العملية السابقة.

الدروس والإيحاءات

من ناحية المواجهات غير المتماثلة تعتبر "عملية الجرف الصامد" انتصاراً واضحاً نسبياً لـ "الجيش الإسرائيلي" كونها انتهت وفق شروط مواتية لإسرائيل وعززت آليات الردع لديها. لكن هذا النصر جاء على حساب مقتل أكثر من سبعين إسرائيلياً واستمرار القتال سبعة أسابيع تخللتها ضربات يومية في داخل إسرائيل. ولذلك يجدر بالمسؤولين استخلاص الدروس من المرحلة التي أوصلت إلى "عملية الجرف الصامد" كونها تلقي الضوء على كيفية التحكم بالتصعيد وتفادي حرب غير مرغوب فيها.

النوايا مقابل الديناميات: أثبتت المواجهة عام 2014 أن نوايا الخصم قد تكون في بعض الظروف أقل أهميةً من الديناميات التي ترسم مجرى الصراع. أي أن «حماس» وإسرائيل قد لا تريدان حدوث مواجهة ولكنهما قد تدخلان متعثرتين في مجابهة على أي حال بفعل زخم الأحداث التي تجري على الأرض. ومن هذا المنطلق يجب على المحللين اعتماد منهجية التحليل بـ "الأثر الرجعي": أي افتراض أسوأ النتائج التي قد تحصل ومن ثم تصوّر المسارات المحتملة التي تقود إلى تلك النتائج من أجل إيجاد الطرق الكفيلة بتفاديها.

التطورات التكتيكية ذات الأثر الاستراتيجي: لا بد للمحللين وصناع القرار أن يتذكروا أن العمليات التصعيدية قد تجري بسرعة كبيرة مما يحدّ من قدرة كل طرف على التأثير فيها. فالطريق المؤدي إلى "عملية الجرف الصامد" رُسمت بشكل متكرر بسبب حوادث محلية منعزلة على ما يبدو كان لها وقعاً هائلاً على الوضع الاستراتيجي وبالتالي لم تمنح المخططين وقتاً كافياً للنظر فيما إذا كان ينبغي فك التصعيد أم لا وكيفية فكّه.

دور المفسدين: صحيحٌ أن «حماس» لا تزال تسيطر على غزة لكن قبضتها ليست كاملة فالمنطقة معروفة بالتنافس بين مختلف التنظيمات المسلحة ذات المصالح المتضاربة في كثير من الأحيان ونتيجة لذلك غالباً ما تحاول أن تتفوق إحداها على الأخرى أو أن تضعف بعضها البعض مما يؤدي إلى أعمالٍ قد تدفع بعجلة التصعيد مع إسرائيل

النظر فيما يتخطى الاقتصاد: يرى الكثيرون أن الوضع الاقتصادي في غزة هو السبب الرئيسي للتصعيد ومع ذلك لم يكن هذا هو الحال قبل "عملية الجرف الصامد". ففي عام 2014 لم تكن «حماس» تعتبر أن مواجهة أخرى ستحسن من وضع غزة وقد اندلع الصراع آنذاك بسبب دينامية فعل ورد فعل بين القوات المسلحة العائدة للطرفين وبالطبع أدّت المشاكل الاقتصادية إلى تفاقم التوترات المحلية ولكن تأثيرها لم يصبح ملموساً إلا بعد بدء العملية عندما قدّمت «حماس» شروطها لوقف إطلاق النار مركّزةً على "رفع الحصار". أضف إلى ذلك أن المواجهات السابقة وقعت حتى حينما كان الوضع الاقتصادي في غزة أفضل بكثير

واليوم تشكّل المحنة الاقتصادية والإنسانية في غزة دافعاً مهماً للتصعيد لاسيما وأنها أطلقت شرارة "مسيرات العودة الكبرى" - وهي محاولة من «حماس» للفت الأنظار إلى الظروف المروّعة في القطاع وإظهار تكاليف الحفاظ على الوضع الراهن عبر حث المتظاهرين على عبور الحدود ومع ذلك ستبقى الاعتبارات الأمنية والإجراءات العسكرية المحركات الرئيسية لأي حرب مستقبلية ولا يوجد ضمان بأن تخفيف الوضع الاقتصادي سيؤدي إلى تحجيم دور تلك المحركات وإرساء الهدوء فعلى الرغم من كل شئ كانت العديد من المشاكل المتعلقة بالأمن والتي ساهمت في نشوب الصراعات السابقة موجودة قبل تدهور الوضع الإنساني بشكل مستفحل في غزة وما زالت قائمة حتى اليوم وهي تشمل: الاحتكاك العسكري المتواصل على طول الحدود (على سبيل المثال الإرهابيين الذين يستهدفون قوات الحدود الإسرائيلية بالأجهزة المتفجرة المرتجلة مما يدفع "الجيش الإسرائيلي" إلى القيام بعمليات توغل عبر الحدود على مسافات غير عميقة واتخاذ إجراءات وقائية أخرى) والتوترات بين التنظيمات القتالية الأصغر في غزة ومواظبة «حماس» على بناء قوتها (بما في ذلك حفر الأنفاق) واحتفاظ «حماس» برهينتين إسرائيليتين وبرفات جنديين إسرائيليين

ومع ذلك فإن اتخاذ خطوات للتخفيف من حدة الأزمة الإنسانية والاقتصادية يشكل هدفاً مهماً للغاية يستحق الجهد ليس لأسباب معنوية فحسب بل أيضاً لأنه قد يساعد على التخفيف من حدة التوتر وإبطال محفزات التصعيد وتفادي انتشار الأمراض والتلوث من غزة

التصعيد من أجل تهدئة الوضع: في عام 2014 سعت كل من «حماس» وإسرائيل إلى وقف التصعيد من خلال اتخاذ خطوات تصعيدية مثل زيادة الضربات الجوية والصاروخية على افتراض أن كل منهما كانت تأمل ردع الطرف الآخر بإجراءاتها الصارمة ولكن عوضاً عن ذلك ساهمت هذه المقاربة في اندلاع "عملية الجرف الصامد". وبينما جلب ذلك الصراع أربع سنوات من الهدوء النسبي يجدر النظر فيما إذا كان هناك نهج مماثل قد يثير صراعاً أكثر خطورة هذه المرة - وما إذا كانت سنوات إضافية من الهدوء هي النتيجة الأكثر احتمالاً لأي حرب كبيرة في ظل الظروف الراهنة

انعدام الثقة بين الطرفين: في عام 2014 افترض كل جانب الأسوأ حول الآخر فتم تفسير رسائل الترضية العلنية على أنها محاولات خداع وأصبحت الرسائل المبعوثة عبر القنوات غير المباشرة تجابَه بالشك والريبة وقد ساهمت تلك الشكوك المتبادلة في تمهيد الطريق أمام "عملية الجرف الصامد" وجعلت من الصعب الخروج من دوامة التصعيد

كما وجد كلا الطرفين صعوبةً في التمييز بين الإجراءات الدفاعية والإجراءات الهجومية على سبيل المثال كان قرار إسرائيل باستهداف أحد الأنفاق قبل أن تتمكن «حماس» من استخدامه لعبور الحدود عبارةً عن مهمة مستقلة تم التخطيط لها بمعزل عن "عملية الجرف الصامد" ولكن «حماس» اعتبرتها في الظاهر بداية حملة واسعة ضد قواتها وعلى النحو نفسه رأت الحركة على ما يبدو في الانتشار الدفاعي لوحدات "الجيش الإسرائيلي" قرب غزة إشارةً على [وجود] نية هجومية

وبشكل عام حين يسود الشك في نوايا الخصم وترتفع تكاليف سوء تفسير هذه النوايا يميل كل جانب إلى تبني نظرة أكثر تشككًا في كل خطوة ودائماً تقريباً ما يتسبب هذا الإجراء بإشعال التوترات وزيادة احتمال سوء التقدير

بعث الرسائل والردع: سلّطت "عملية الجرف الصامد" الضوء على التوتر بين "الوضوح الاستراتيجي" (أي التعبير الواضح عن النوايا) والردع فمن جهة لا يريد أي من الطرفين أن يساء فهم نواياه لأن ذلك قد يؤدي إلى تصعيد الصراع عن غير قصد ومن جهة أخرى إذا عبّر أحد الطرفين بصراحة عن رغبته في تجنب الحرب قد يؤدي ذلك إلى إضعاف مساعي الردع عبر إقناع الطرف الآخر بأن بوسعه الإقدام على أعمال استفزازية دون خوف من التصعيد وفي المقابل قد تُسبب الرسائل القاسية التي تهدف إلى تعزيز الردع إلى تفاقم التوترات وتؤدي إلى تصعيد غير مرغوب فيه إن تحقيق التوازن المناسب بين هذين الدافعين المتناقضين أمر صعب لكن إسرائيل ستحتاج إلى إيجاد هذا التوازن لتبقي الوضع الراهن تحت السيطرة

الاستنتاج

إن الدرس الرئيسي الذي يمكن استخلاصه من "عملية الجرف الصامد" هو أنه لا يوجد حل واحد لمنع المواجهة غير المرغوب فيها في غزة عندما تعمل العديد من العوامل على إدامة حالة من التوتر شبه الدائم بين إسرائيل و«حماس». ونأمل أن تؤدي المراقبة المتمعنة لجميع العوامل والديناميات التصعيدية المتواجدة حالياً إلى الحد من احتمال نشوب صراعٍ لا يريده أيٌّ من الطرفين وسيحلل الجزء الثاني من هذا المرصد السياسي كيفية تطبيق هذه العوامل والدروس المستفادة من عام 2014 على الوضع الحالي بهدف إثارة أفكار عامة لتحسينها

الرائد نداف بين حور "جيش الدفاع الإسرائيلي" هو زميل عسكري زائر في معهد واشنطن ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Bennett’s Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy)

BRIEF ANALYSIS

Libya’s Renewed Legitimacy Crisis

/ /

◆

Ben Fishman

(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)

TOPICS

العلاقات العربية الإسرائيلية **(ar/policy-analysis/allaqat-alrbyt-alasrayylyt/)**

الشؤون العسكرية والأمنية **(ar/policy-analysis/alshwwn-alskryt-walamnyt/)**

عملية السلام **(ar/policy-analysis/mlyt-alslam/)**

المناطق والبلدان

إسرائيل **(ar/policy-analysis/asrayyl/)**

الفلسطينيون **(ar/policy-analysis/alflstynywn/)**